آفاق

« ملحق العدد 29 »

ملحق العدد 29 ، الأحد 1 ذو الحجة 1442 هـ الموافق 11 تموز/ يوليو 2021م

1

جريدة إلكترونية شهرية ثقافية منوعة تصدر عن مؤسسة البيان للعلوم والمعرفة

البلاغة المعيارية البلاغية: الرؤى والتصورات، للكاتب العراقي: مثنى ضياف العزاوي

إذا أردنا أن نقف على هذا المصطلح فلابد من العودة إلى بداية الجذور التأسيسية لهذا المصطلح، والبداية بلا شك ستكون من عبد القاهر الجرجاني، وكذلك هناك مسميات بلاغية في كتاب الصناعتين لابي هلال العسكري وكذلك يذهب البعض إلى كتابي الجاحظ (البيان والتبين) و(الحيوان)، ولقد شهدت البلاغة مع عبد القاهر الجرجاني تحولاً كبيراً على المستوى التحليلي البلاغي للنصوص الشعرية والأدبية بغية التوصل إلى القيم الجمالية التي تختبئ في تلك النصوص ومن ثم بعد ذلك كان مشروع الجرجاني التوصل الى مظاهر الاعجاز القرآني، لذلك كانت عنايته كبيرة بالبلاغة العربية ولاسيما في كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز فأسرار البلاغة حوى كثيراً من المباحث حول الاستعارة، التشبيه، المجاز، الحقيقة والمجاز، وتطرق إلى بعض القضايا الخاصة بالتحليل التركيبي على وفق مقتضيات نظرية النظم ثم كانت التتمة مع دلال الإعجاز، وقد شكل هذا الكتاب انعطافاً كبيرًا في تاريخ البلاغة العربية على مستوى التحليل إذا وجد الجرجاني الكثير من القيم الابداعية الموجودة في النص كاشفا عن شحنات الخطاب واشتغالاته هذه كانت قريبة جدا من الدراسات المعاصرة كالأسلوبية والبلاغية واللسانية لذلك وجدنا كثيراً من الباحثين المعاصرين يذهبون للبحث في أوجه ما بين اللسانيات المعاصرة والدراسات النقدية والنصية تحديداً مع طروحات عبد القاهر الجرجاني، لقد كان عمل الجرجاني في القرن الخامس الهجري حيث توفي ثم بعد ذلك مرت البلاغة العربية بمراحل من الهضم وصولاً للسكاكي حيث ألف كتاب مفتاح العلوم، حيث أراد لتأسيس لعلم خاص بالأدب تحديداً حيث بدأه في النحو والصرف في علوم البلاغة الثلاثة وتحدث في علم المنطق وبعد ذلك أصبحت الكتب البلاغية تلوك ما تكلم به السكاكي على ما استقر به من علوم البيان والمعاني والبديع والبعض يرى أن هذه المرحلة لم تقدم فيها الدراسات البلاغية من جديد، ولكن البعض يرى أن الجديد يكمن في الشروحات كشروحات المفتاح ومنها كتب التلخيص ومنها شروحات سعد الدين التفتازاني وكذلك يرى الدكتور سعد جمعة أن

البلاغة المعيارية البلاغية: الرؤى والتصورات، للكاتب العراقي: مثنى ضياف العزاوي

بعضها الآخر يختبئ في كتب التفسير لأن بعض التفاسير القرآنية قد وجدت ما بعد السكاكي والكثير منها قد حاورت النص بحثاً عن الامكانات لموجود في هذا النص وهذا ما سنتطرق له مع السكاكي حيث حاول أن يقسمها لثلاثة علوم وهي قائمة ليومنا هذا، وهذه الاشتغالات لاقت بعض الترحيب والرفض وسنبحث عن التهم التي الصقت به ومنها، معيرة البلاغة أو التقعيد ولكن لابد أن نعرف ما المقصود بالمعيرة البلاغية؟ فالمعيارية: هي مجموعة من القواعد المفروضة على النص مسبقاً. والمنهج المعياري هو بخلاف المنهج الوصفي كما يرى الدكتور علي زوين (فالمنهج المعياري قائم على فرض الأقعدة أي يبدأ بالكليات وينتهي بالجزئيات) وهذه القضية رفضت لأنها تجمد النص وكذلك هي خلاف الذوق ويقصد به الذوق المربى على التحليل البلاغي والنقدي واللغوي على النص، فالعالم لابد أن يتمتع بمكتسبات لكي يحلل النص على على وفق ذوقه بالاعتماد على الخبرات السابقة أمثال الآمدي وما لعبه الآمدي فيما يخص عكس معيرة البلاغة العربية وكذلك عبد القاهر الجرجاني، فالمسالة عندما وجد المحدثون اختلافاً في طروحات السكاكي وسابقيه اتهموه بالجمود فالتهم لم تكن جزافاً، ويمكن أن نرى أن أول من اتهم السكاكي بمعيرة البلاغة والجمود هو ابن خلدون.

ويرى الدكتور عبد السلام المسدي أن الهدف من المعيارية هو الهدف التعليمي ولكثرتها حضوراً عند البلاغيين المتأخرين ونتج عن ذلك اهتمام واضح بوضع قواعد صارمة لتقنين عملية الإبداع الأدبي وتقديم مبادئ نظرية جاهزة ساهمت في الحكم على العمل الادبي "وقد وضع هؤلاء البلاغيون أحكاماً مسبقة وجعلوها مقياساً على البلاغة وهو الذي جعل بعض الأسلوبيين يقفون من البلاغة موقف النقد بعد أن أصبحت بلاغة معيارية. أما سعد مصلوح فيرى أن شيوع المعيارية لسبب هو حرص البلاغيين على التعبير الحسن والنظم الرائق وأصبحت المقاييس البلاغية هي المرشد الأساس في الاحتراز من الخطأ والتفنن في القول والحكم على وجوب الكلام" أما الأسلوبية الحديثة فتنفي عن نفسها كل معيارية وتعزف عن إرسال الأحكام التقديمية بالمدح والهجين، والمعيارية عند الجرجاني كانت مرحلة أشبه بالوصفية فلم يكن معني بوضع القواعد بقدر ما كان معنياً بوصف جماليات الظاهرة اللغوية المتجسدة في القرآن الكريم، أما المعيارية الصارمة فقد بدأت بالجيل الذي تلاه كالرازي والسكاكي وغيرهم.

والعلة التي جعلت السكاكي يجمع آراء سابقيه أمثال الجرجاني والزمخشري والرازي ويضيف إليها أفكاره ولكن بمعيارية وتقعيد للبلاغة حيث يقول: (ورأيت أذكياء أهل زماني الفاضلين الكاملي الفضل قد طال إلحاحهم عليّ في أن

البلاغة المعيارية البلاغية: الرؤى والتصورات، للكاتب العراقي: مثنى ضياف العزاوي

أصنف لهم مختصراً يحظيهم بأوفر حظ منه (فالمعيار لغة: أنموذج معين يجري تقدير الأشياء به يقول الجرجاني: "اعلم أنه ليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله"، إذن مفهوم المعيارية منهج يقيم على الصواب والخطأ).

منهج يعمل على وضع القواعد والموازين، وقد أسماه الوصفيون بالمنهج التقليدي. كونه يسير على نهج القدماء. فمعظم من جاء بعد السكاكي قد سار على طريقته، وارتضوا منهجه سبيلا ولم تكن هناك عملية بناء بعد السكاكي والقزويني والرماني، ولم يظهرْ معارضون في المعنى الحقيقي إلا في العصور المتأخرة من أمثال.. أمين الخولي وغيره.. ثم توالت الصيحات في هذه الأعصار بلزوم تجديد الدرس البلاغي وتخليصه مما علق به من قواعد وحدود تقف مانعاً في سبيل تطوره.. أما رأي ياقوت الحموي في تعريف السكاكي والقزويني للتقسيم فليس بذي قيمة إذا ما قورن بكلام ابن أبي الإصبع ويقول بعد ذكر تعريفهما: "ويعجبني بلاغة زكي الدين بن أبي الإصبع فإنه قال: التقسيم عبارة عن استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه".

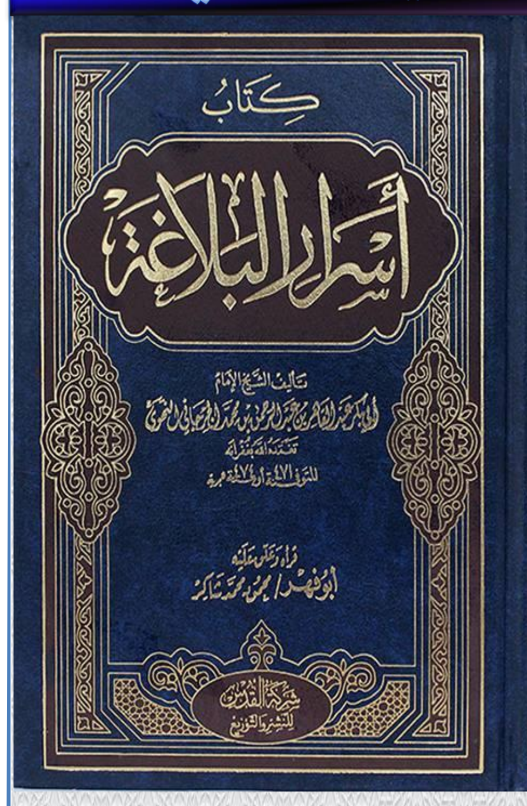
وقول السكاكي: "والتقسيم هو أن تذكر شيئاً ذا جزأين أو أكثر ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك).

فإن القزويني (ت 739) في شرح التلخيص يقول: (فإن تلخيص المفتاح في علم البلاغة وتوابعها بإجماع من وقف عليه واتفاق من صرف العناية إليه أنفع كتاب في هذا العلم صنف، وأجمع مختصر فيه على مقدار حجة ألف، ولم أزل مشغوفاً بهذا الفن وله محباً مشغول الخاطر بالعزم على التجرد إليه وإن كنت على غيره من العلوم مكباً).

إن الباحث إذا لجأ إلى التفكير المعياري فقد استعار لنفسه موقف المتكلم الذي يحدده الاستعمال لا المنهج ويؤيد قول دي سوسير وهو: (أن تسن القواعد التي تفرق بين الاستعمالات الصحيحة وغير الصحيحة).

من أهم الرؤى والتصورات المعاصرة ما بين مؤيد ومعارض:

نجد رأي الدكتور أحمد مصطفى المراغي معارضاً في تقسيم البلاغة عند السكاكي لأن الأقدمين لم يقسموها إلى (معان وبيان وبديع) ولا يمكن أن يقوم هذا دليلاً على منهج فساد السكاكي لأن معنى هذا لم يترك الأول للآخر شيئاً ولا نرى هذا



التقسيم صحيحاً وبلا دراية ليطرح سؤالاً مفاده:

س/ ما الفرق بين كلام السكاكي وملخص مفتاح العلوم؟

ثم يجيب، يتضح أنه ليس من الدقة أن ينقد السكاكي على أساس تعريف الخطيب القزويني فالثمرة المستقاة من علم المعاني وهي معرفة

البلاغة المعيارية البلاغية: الرؤى والتصورات، للكاتب العراقي: مثنى ضياف العزاوي

أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال نستنج من تعريفه لعلم المعاني ومن كلامه على المحسنات لأنه يرى أن أصل الحسن فيها (أن تكون الألفاظ توابع للمعاني لا أن تكون المعاني لها توابع).

وكذلك رأي أمين الخولي في كتابه (مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب) حاول أن يبرز ملاحظاته ومآخذها عن البلاغة القديمة ومنها طغيان الفلسفة على البلاغة واختصار بحثها في الألفاظ وحدود الجملة.

وربما يوافقه الدكتور بدوي طبانه أن اتجاه البلاغة إلى التقنين عند السكاكي (هو الذي باعد بين معنى البيان الشامل المتسع الأطراف وبين أثره في إرهاف الحس وتنميته الملكات وأصبح قواعد تحفظ ولا يقاس عليها وفقدت البلاغة قدرتها على التذوق البلاغة.

بينما الدكتور أحمد مطلوب ذهب إلى القول: إن تقسيم السكاكي البلاغة إلى علوم ثلاثة لا أساس له ولا يمكن الأخذ به في دراستها دراسة تقوم على الذوق والمقاييس الفنية ولم يقف أحمد مطلوب بهذا الرأي موقف الذي يطلق الحجج دون براهين ومناقشة جادة ومثمرة بل حاول من خلال ذلك مناقشة السكاكي في تعريفه لعلمي المعاني والبيان ونقد أحمد مطلوب تعريف علم المعاني هو التعريف الذي يقول فيه السكاكي: اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تركيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيرها، وأن أحمد مطلوب في مناقشة السكاكي في تعريفه لعلمي المعاني والبيان وكأنه يبحث عن عله تفرق بين العلمين فلم يجد، مادام أن السكاكي خص علم المعاني بمهمه تتبع خواص تركيب الكلام وعلم البيان بأداء المعنى الواحد بطرق مختلفة.

أما رأي الدكتور محمد العمري فأكثر مرونة، إذ يرى أن السكاكي قد فتح البلاغة على المنطق كما أن حازم فتح البلاغة على النقد الأدبي وعلى كل المقومات اللسانية والشعرية، إذن كانت قراءة السكاكي للتراث القديم هي قراءة مشروعة ولكنها مشروطة بظروف، وصار السكاكي ككل القدماء جزءاً من التراث البلاغي، إن بلاغة السكاكي تولدت على غير انتظار من مخاض بين النحو والمنطق والشعر من أجل مشروع اسمه (علم الأدب)، إن بلاغة السكاكي هي منطقة تقاطع النحو و(علم المعاني والمنطق وعلم البيان) والشعر وعلم البديع والعروض).

ولا يختلف رأي محمد رمضان الجربي لسابقيه كبدوي طبانة وأحمد مطلوب بأن السكاكي بتقسيمه البلاغة مزق وحده البلاغة ونظر إلى البديع نظره زخرفية شكلية عرضية بسبب منهجه المنطقي الفلسفي الذي لا يتفق والمنهج الأدبي النقدي الذي رسمه عبد القاهر الجرجاني، ويرد أحمد سعد عن الجربي في قضية أن السكاكي مزق وحدة البلاغة بقوله: "وهذا لا يعني بوجه من الوجوه حتى بادي النظر أنه كان يرمي إلى تمزيق أواصل العلم الأدبي، واتجهت بعض الأبحاث إلى إعفاء السكاكي من المسؤولية في جمود الدرس البلاغي وترى أن السكاكي ليس هو المسؤول عن جفاف هذه البلاغة.

ويقدم د. محمد عبد المطلب رؤية موضوعية وهي أن المقارنة بين حاجة المجتمع الغربي منذ كتاب دي سوسير وما وصل إليه الفكر البلاغي في مرحلته السكاكية اعتزاز بالجهد الذي بذله القدماء في تحويل البلاغة إلى علم مكتمل الأصول والفروع فالعلم ليس إلا منهجاً في

البلاغة المعيارية البلاغية: الرؤى والتصورات، للكاتب العراقي: مثنى ضياف العزاوي

التفكير وكل علم يستخدم المنهج الذي يتوافق مع خواصه الذاتية فمحمد عبد المطلب نراه ينتصر للجهد البلاغي السكاكي ويرى قيامه على أساس من الخبرة الدقيقة والمعرفة الصحيحة بكل مفرداته، ويرجع محمد عبد المطلب سبب تحول المعرفة البلاغية إلى العلمية عنده السكاكي مرده إلى الإلحاح الذي فرضه أهل زمنه.

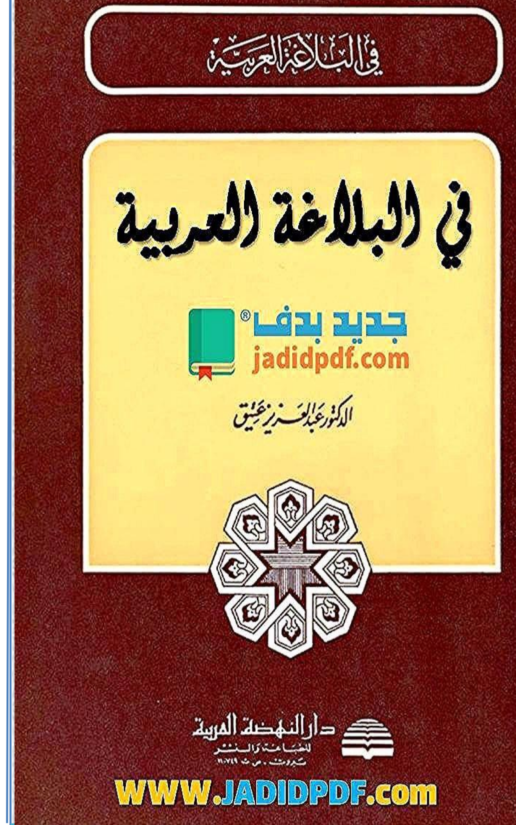
فرؤية محمد عبد المطلب أن الوصول إلى فنيه البلاغة لا ينبغي أن يأتي هكذا وإنما من امتزاج النقد بالبلاغة والدرس البلاغي متابعة أجناس الكلام، واعتبر عبد المطلب أن تقليل قيمة البلاغة السكاكية هجوم ظالم لأن شرف البلاغة أن تكون علماً من أن تكون بحوثاً مبعثرة لا تلتزم بخطة أو منهج.

أما سعد مصلوح فقد تنبه إلى التفات السكاكي إلى الفرق بين النحو والبلاغة في رؤيته العامة للعلوم بينما نجد النظرة لدى عبد الحكيم رضي يأخذها من منظور تأثير فلسفي هي أن السكاكي من أصحاب الكلام وهو حلقة في سلسلة سيطرة النظر الفلسفي على البلاغة وبسبب الصلة الوثيقة بين المنطق والبلاغة وتسويته بين عمل صاحب المنطق وصاحب البلاغة، وللدكتور أحمد خليل عبدالرزاق رؤية مغايرة فهو أوائل من تنبه من المحدثين إلى ما في منهج السكاكي من تضيق لبحوث البلاغة وحصر لمسائلها يؤدي إلى الجمود ولكنه لم يقف طويلاً على هذه النقطة لأن بحثه كان



منصباً على البيان وتاريخه.

أما رؤية عبد العزيز عتيق فهي مناصرة للسكاكي بأنه حاول أن يرفع مسؤولية تحجر البلاغة عن أصحاب الشروح والتلخيصات ويعود إلى رأس المشكلة ويرى أن صورة السكاكي بالنسبة إلى المتأخرين قد رسخ البلاغة ووطد دعائمها بحيث يكون الخروج على منواله خروجاً عن البلاغة ويستنتج عبد العزيز عتيق ويقول: "فقد أصل السكاكي مناهجه على أسس منطقية حولت البلاغة من فن إلى علم له قواعده ونظرياته التي نجحت في تكوين طبقات من البلاغيين فهيهات أن تنجح في تكوين البلاغة.



البلاغة المعيارية البلاغية: الرؤى والتصورات، للكاتب العراقي: مثنى ضياف العزاوي

بينما الرؤية كانت مغايرة لدى الدكتور فاضل عبود التميمي وهي أن أهمية ما أنجزه السكاكي تكمن في نقله للبلاغة إلى منطقة الحجاج بوصفها خطاباً.

وخلاصة القول يمكن أن نعد جهود السكاكي خطوة أولية نحو تأسيس علم البلاغة ومصنفه خير دليل على ذلك (مفتاح العلوم)

فقد حد الصيغ المهمة والحاسمة لهذا العلم حيث ضبط مباحثه ببراعة وأن آراء البلاغيين المتأخرين فيه كان لها دور في بيان أثر هذا المنجز ببراعته وتحديد مصطلحاته، ونحن لا نتجاهل آراء المعارضين ولكن لابد أن نثمن جهوده ضمن معطيات معرفية وسياق تاريخي، وما قدمه من خدمة للدرس البلاغي.

وكما قالت الدكتورة سهير القلماوي:

"إن السكاكي ألف (مفتاح العلوم) تلبية لحاجة أبناء عصره وكان الباعث الأول على دراسة المجاز هو تقريب مجازات العربية إلى الأعاجم الذين دخلوا الإسلام زرافات واستطاعوا أن يتعلموا اللغة والنحو ولكن في المجاز الأمر أعسر، لأن بابه مفتوح إلى ما لا يحد أمام الإبداع الفني"، إن أبا عبيدة عندما ألف كتاب مجاز القرآن الكريم فهو المجاز القرآني للمسلمين الأعاجم مع تطور استعمالات المجازية لم يكن من السهل رصدها أو دراستها أو تعقبها..

وكتاب مفتاح العلوم بلا شك حفظ الصورة البلاغية القديمة وروج لها ولكن لم يسع لتطويرها لأن مهمته كانت الصون والحماية وشرف البلاغة أن تكون علماً بدل من أن تكون بحوثاً مبعثرة لا تلتزم بخطه أو منهج.



الملاك اليتيم للكاتبة السورية: نغم ياسر مزعل

منذُ بدء الحرب..

منذُ بدء الحرب فقد الكثير من البشر أشياءٍ مادية ومعنوية.. ليس ذلك فحسب بل أن البشر أنفسهم فُقِدَ الكثير منهم.. وأصبحت الدار الآخرة مأوى لهم...

فقد اشعلت نيران الحرب في منطقةٍ يسودها الحب ويعتريها العون.. وكذلك البشر الصادقين فقد بدت للوهلة الأولى أصوات الرصاص مخيفة بعض الشيء، وظن السكان أنهُ شيءٌ عابر سيزول..





ليلةٍ تلو الأخرى.. ويومٌ يتبعه الآخر..

والوضع يزداد سوءاً، وخطر محدق يهدد حياة السكان..

بدأ سكان الحي مغادرتهُ عائلة تلو الأخرى..

ولقد فقد لذته وجماليته باجتماع الجيران وأونسهم الجميل..

هجر الجميع وأصبح الحي فارغاً باستثناء "جادة الزهور" التي تشبه الجنة بأزهارها وأشجارها وياسمينها..

جادة الزهور بقي فيها عائلة واحدة صغيرة مؤلفة من الأب والأم وطفلة صغيرة تدعى ملاك، وكان اسمها ينطبق على ملامحها البريئة...

كان الأب في العقد الرابع من عمرهِ ويدعى فؤاد، أما الأم فكانت في أواخر العقد الثاني من عمرها وتدعى فريحة.. والطفلة قد مضى على ولادتها ثلاثة أشهر..

_مرَّ شهران على الحرب وهي ما تزال تزداد خطراً والمساكن والمنازل بدأ الضرب يسقطها فما تبقى منها إلا هياكل لزوايا حديدية معوجة..

وبعد مرور ما يقارب شهر من خوف محدق يشتلع قلب فؤاد وزوجته..

حل الظلام..

كانت فريحة تتوضأ وتتلو آياتٍ من القرآن كما اعتادت دوماً، فعند انتهائها ذهبت لتنام، ولكن قبل ذلك ذهبت لتطمئن على طفلتها ملاك النائمة في سريرها بشكل بريء..

ما إن حنت ظهرها لتقبل طفلتها على رأسها.. لم تشعر إلا بحجارة تتراجم فوق ظهرها.. فبدأ السقف يتساقط.. بدأت مرتعشة خائفة تحمي بنتها وحيدتها..

استطاعت فريحة الهروب بطفلتها إلى غرفة أخرى آمنة مقارنة مع غرفة طفلتها..

ما استطاعت فريحة تحمل تلك الصدمة فبدأت تصرخ باكية تنده باسم زوجها.. وصوتها يصدر من بين طياته شهقاتٌ وآلام وبكاء وآهات..

_جاء فؤاد وضربات قلبه تخفق مسرعة،

الملاك اليتيم للكاتبة السورية: نغم ياسر مزعل

وقف محدق بخوف وصدمة ينظر لطفلته وزوجته وأصوات النيران تزداد شيئاً فشيئاً.. تراوحت تحديقاته دقيقة أو دقيقتين..

وكأنه شعر نفسه بوهم وبعدها تأكد من واقعه.. تلهف مسرعاً حاملاً طفلته وممسكاً بيد زوجته.. يركض وخوفه على أسرته شيء لا يوصف..

خرج من منزله يمشي جوار الجدران لعلها تكون أكثر أماناً.. يبحث لعله يجد السبيل للخروج...



فريحة: أين سنذهب.. طفلتنا.. حالنا.. فؤاد لم يتبقَّ سوانا هنا ما الذي سيحصل لنا وأين مصيرنا؟

وكانت دموعها كشلالات تسري فوق خديها..

فؤاد: لعلنا نجد مخرجاً.. لا تخافي.. لا تقلقي..

واستمر حديثهما والخوف يعتري قلبهما ما إن أتما سيرهما.. صدرت صوت القصف بشكل مرعب وهائل

وقفا تحت مبنى مرتفع..

وكانت تلك الأصوات نهاية الحرب.. ولكن هل كانت هذه النهاية خيراً عليهما؟

_بعد أن أتما وقوفهما تحت المبنى كانت آخر ضربة في تلك الحرب المروعة وكانت نهاية الحرب..

وهذه الضربة الأخيرة كانت قد أصابت المبنى.. فسقط عليهما.. وكانت نهاية لفؤاد وفريحة "موتهما"

ماتا ولم يجدا من ينعيهما ولا من يدفنهما..

ولا أحد يعلم عنهما شيئاً..

فبعد يومين من انتهاء الحرب عادت عجوز تبلغ من العمر تسعون عاماً

ذهلت من رؤية المباني المدمرة فما عادت تذكر أو تميز أو حتى تستطيع رؤية منزلها..

بدأت تحوم حول الخراب كأحد فقد عقله، وإذ بها تسمع شهقات بريئة من بين أحجار مدمرة تملأ الأرض.. شهقات يصطحبها بكاء وآلام..

وإذ بالعجوز تتبع خطاها نحو مصدر الصوت.. فاقتربت منه..

ولكن كان يفصلها عن الصوت حاجز من الحجارة والأثاث المنزلية المدمرة.. فبدأت بيديها الرخوتين اللتين لا تقويان على الصعاب..

تبذل جهوداً لتبعد ما أمامها من خراب، وبعد جهد استمر لنصف ساعة.. استطاعت العجوز نزع كل ما أمامها..

فصعقت بوجود طفلة بلفافِها المتسخ ووجها الرمادي من غبار الدمار.. وكان الجوع ينهك الصغيرة.. إنها الطفلة ملاك ابنة فؤاد وفريحة!

وضعت العجوز أناملها المعوجة بمهالك الزمان على رأس الطفلة



وبدأت تتلو عليها آيات من القرآن حتى هدأت الطفلة، ما إن حملت تلك العجوز الطفلة بدأت تشعر بالحياة ترتد لقلب العجوز.. شردت في ذكرياتٍ قديمة وراودها طفلها الوحيد الذي توفي بعد أيامٍ قليلة من ولادته..

حملت العجوز الطفلة فإذا بها تصطدم ببشر ميتين إنهم فؤاد وفريحة..

الملاك اليتيم للكاتبة السورية: نغم ياسر مزعل

ظنت العجوز وكان ظنها على صواب بأنهما هم والدا الطفلة..

ذهبت تلك العجوز بالطفلة إلى الغرفة الصغيرة البالية التي استأجرتها العجوز..

فغسلت الطفلة وحسنت من حالها وأطعمتها..

ثم ذهبت لجيرانها وأخبرتهم بحال فؤاد وفريحة كي يقوموا بواجبهما تجاه الأموات "دفنهما".

أيام.. أسابيع.. شهور.. ومازالت العجوز تبحث لعلها تجد من يعرف الطفلة كأحدٍ من أقاربها أو كذلك..

بدأت العجوز الوحيدة يزداد تعلقها بالطفلة شيئاً فشيئاً..

وأطلقت عليها اسم آمنة..



ولكن كلما حل الظلام يحدث ما هو ليس بمتوقع

يتبدل حال الطفلة.. ويشحب لونها وتبدأ بالصراخ والعويل وكأنها ستنفجر.. كلما صرخت الطفلة يظهر إثر صداها صوت غريب أشبه بصوت مرعب..

مرَّ على هذا أسبوع فحسب.. فذهبت العجوز بالطفلة إلى شيخ..

-العجوز: كيف حالك يا شيخنا؟

الشيخ: لله الحمد والشكر

بدأت العجوز تروي له ما يحدث مع الطفلة وكيف يتغير حالها..

فوجد الحل..

وبدأت العجوز لمدة أسبوعين تذهب إلى الشيخ حتى عادت الطفلة لطبيعتها..

وتعلق العجوز بالطفلة وهي تكبر أمامها يزداد أكثر فأكثر

فأصبحت الطفلة جزءاً لا يتجزأ من قلب العجوز..

تداعبها.. تطعمها.. تذهب بها للجيران،



فرأت بها ابنها الفقيد..

بعد مرور سنة ونصف على عمر الطفلة.. وفي إحدى ليالي الشتاء القارس.. يطرق باب العجوز صباحاً.. حيث الثلوج تتساقط..

نهضت العجوز في قوةٍ بالية.. تثرثر شاكية من آلام ظهرها.. فتحت الباب.. فوجدت رجلاً وامرأة يبلغان الستين عاماً فحسب..

نظرة محدقة إليهما.. نظرات تتساءل: من هم؟ وماذا يريدون؟

فالقيا التحية.. فأجابت بالتحية!!

طلبا الدخول فاستضافتهما.. وبدأت الأحاديث تجرُ بعضها، حديث يتلوه الآخر..

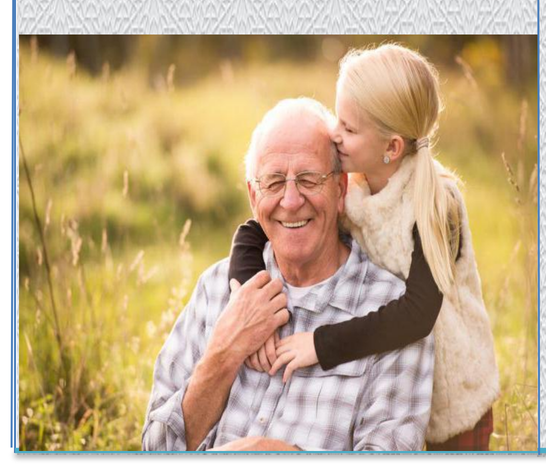
فصدماها بأنهما أقرباء الطفلة.. جديها..

_العجوز بنبرات حزينة: وهل ستأخذونها؟

رد الرجل: نشكرك على اهتمامك بها، ولا نعلم كيف سنرد لكي هذا الجميل..

ولكن للأسف إنها حفيدتنا..

خسرنا ابننا وزوجته، فهي الوحيدة تحمل لنا رائحة فقيدنا..



الملاك اليتيم للكاتبة السورية: نغم ياسر مزعل



لم تستطع العجوز فعل شيء، فودعت الطفلة ملاك (آمنة) تقبلها وتستنشق رائحتها ودموعها قد بللت ملابسها..
ولكن كان وعد الأجداد بأن لا يحرموها من رؤيتها..



مرّ هذا اليوم على العجوز بحزنها التام على الطفلة التي أعادت لها الحياة.. فبدأت تتسلل عافيتها يوماً تلو الآخر.. وكأن خسارتها لطفلها تتجددُ بهذه الطفلة، فأصبحت تزداد سوءاً والمرض ينهشها..

لم تجد من يعتني بها ولا تستطيع العناية بنفسها..
مرَّ على مرضها ومعاناتها أسبوع بأكمله..
ومرت الأيام، يوم تلو الآخر، وثلاث أسابيع لا أحد يعلم عن العجوز شيئاً.. تلك الثلاث أسابيع أتبعها الأسبوع الرابع.. وإذا بباب تلك العجوز يطرق.. ولا أحد يجيب..

الجميع يعلم بأن تلك العجوز ليس لها في الحياة سوى الله!
لا أقارب ولا أبناء ولا غير ذلك.. فبدأت الوهلات القلقة تظهر على طارق الباب..



فبدأ ذاك الجِد يستفسر ويسأل من جاور سكن العجوز..
وكلهم كانوا مندهشين بذلك.. أين ستختفي؟
ليس لها أحد لتذهب إليه..!
وكان هنالك شابان ذات همة وعزيمة.. أرادوا كسر الباب على تلك العجوز.. فبدأا بخلعه بكامل همتهم.. وعندما استطاعوا ذلك وجدوا العجوز مستلقية على الأرض.. وجد العجوز مستلقية على الأرض وأنفاسها منقطعة..
ذهلا من ذاك المشهد.. فأسرعا مهرولين إليها..
فإذ بهما يكتشفان بأن المنية قد وافتها.
فحزنا حزناً شديداً.. وتكفل ذاك الجد بمراسم العزاء كافة والندم يطغى عليه ويأكله.. لأنه كان يعلم أن سبب وفاة العجوز هو تعلقها بملاك وبعدها عنها..
فهذا هو ما يصنعه تباعد الأرواح أو التعلق الشديد بأناس أحببناهم.. يؤدي إلى الهلاك وربما الموت.

